

الشعر التعليمي

د/ عبد الرحمن خربوش

جامعة تلمسان

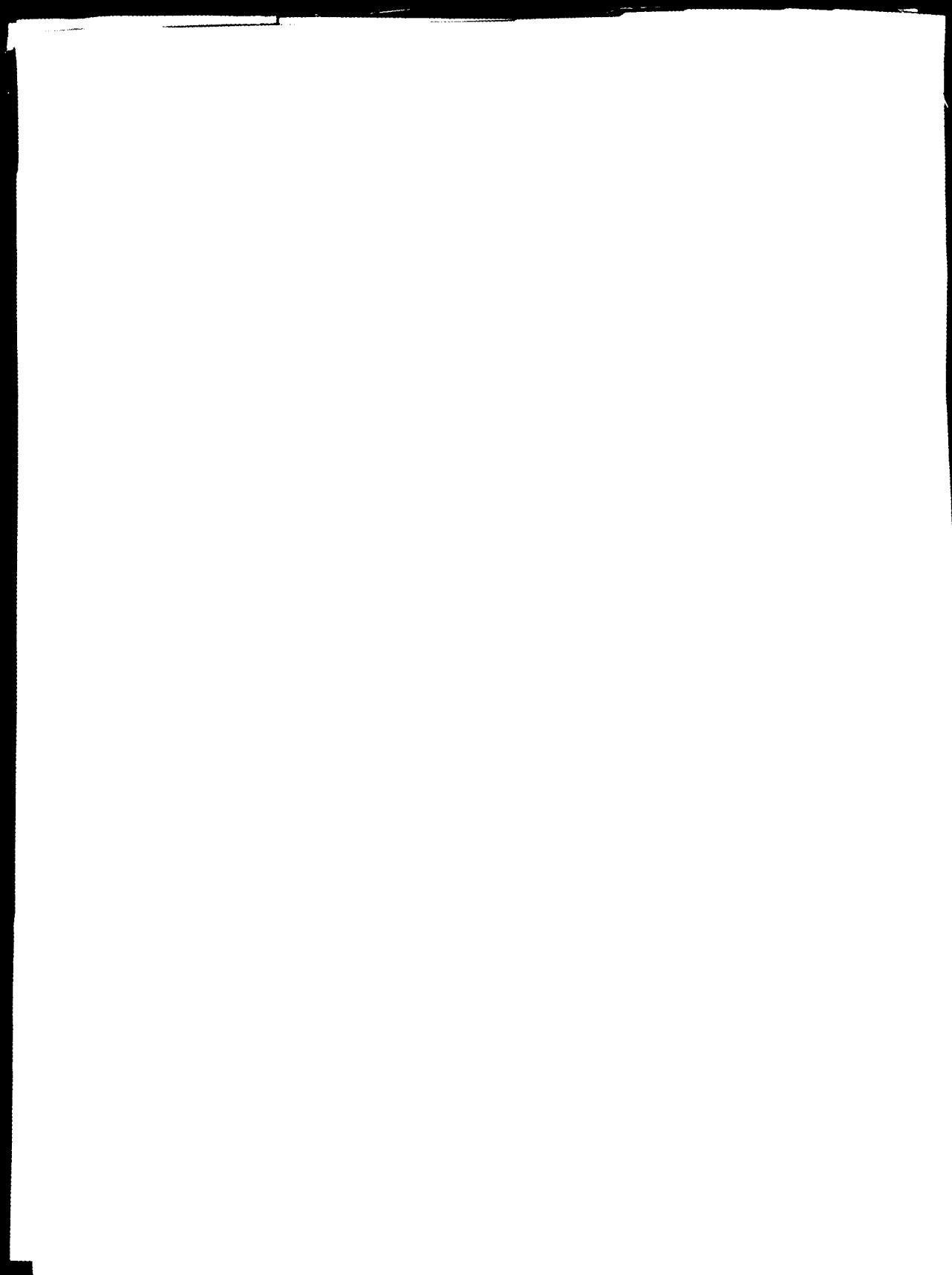
1- نشأته و تطوره :

برز اتجاه جديد في الشعر العربي في القرن الثاني الهجري تمثل في الفن التعليمي الذي يصطنعه الشعراء عادة لنظم أنواع شتى من العلوم و المعارف تسهيلا لحفظها. ومما لا شك فيه أن نشأة هذا الفن إنما اقترن بتسارع أنواع المعارف و العلوم، و ازدياد الإقبال على التعليم و التعلم في القرن الثاني.

و عن ظروف نشأة هذا الشعر التعليمي يقول¹ الدكتور مصطفى هدارة: نحن نميل إلى إقرار التأثير الهندي في نشأة الفن التعليمي في الشعر العربي إذا كان لا بد من وجود تأثير أجنبي، إذا لم يكن الشعر العربي قد نشأ عند العرب نشأة طبيعية².

و يرى الأستاذ أحمد أمين أن هذا الاتجاه عند اليونان و الهند ربما كان له تأثير في نشأة الفن التعليمي عند العرب³.

أما الدكتور شوقي ضيف فإنه يقطع بأن الشعر التعليمي نشأ نشأة عربية خالصة في أواخر الدولة الأموية معتبرا أراجيز رؤية و العجاج و من هنا نحا نحوهما متونا لغوية يقول : "الإنسان لا يلمّ بديوانيهما حتى يقطع بأفهما يؤلفان أراجزهما قبل كل شيء من أجل الرواة و من أجل أن يمدّهم بكبّ لفظ غريب و كلّ أسلوب شاذّ



و من هنا كنا نسمي هذه الأراجيز متونا لغوية. و قد بلغت هذه المتون صورتها المثالية عند رؤية؛ فهو النمو الأخير لهذا العمل التعليمي الذي أرادته المدرسة الغوية من جهة والذي استجاب له الرّجاز من جهة أخرى في أواخر القرن الأول و بداية القرن الثاني⁴

و يضيف : لقد تطور الشعر العربي و أصبحت الأرجوزة منه خاصة تؤلف من أجل حاجة المدرسة اللغوية و ما تريده من الشواهد و الأمثال⁵ ثم ينتهي إلى أنّ الأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربي.

أما الدكتور رمضان عبد التّواب⁶ فإنّه يخالف شوقي ضيف في عده أراجيز رؤية و العجاج نظما تعليميا، و إن كان لا بد من العثور على أراجيز لتعليم اللغة في هذا الوقت المبكر فهناك قصيدة في الغريب لمحمد بن سهل راوية الكميت الشاعر. "وهي مخطوطة في دار الكتب بمصر" كذلك ذهب الدكتور هدارة إلى أنّها لا تعدّ شعرا تعليميا بالمعنى المفهوم من الشعر التعليمي و ذلك لأنّها باعتراف صاحب هذا الرأي د. شوقي ضيف وضعت من أجل علماء اللغة أنفسهم ليلتقطوا منها ما لا يعرفونه من الغريب فهي محدودة في هذا النطاق لا تتعداه بعكس الشعر التعليمي الذي يتوجه إلى المتعلمين أولا ليسهل عليهم حفظ ما يتضمنه هذا الشعر من علوم و معارف⁷.

و من المتفق عليه أن الفن التعليمي في الشعر العربي لم يظهر قبل نهاية القرن الأول الهجري، بمعنى أنّه لم يظهر إلا بعد الفتوحات الإسلامية أي بعد اختلاطهم بالثقافات الأجنبية و انفتاحهم على المجتمع الدولي. خاصة ما ترخر به الهند فارس وبلاد اليونان من ثقافات مختلفة لا تتعارض مع معتقداتهم و منها فن الشعر التعليمي.

و قد شمل الشعر التعليمي في العصر العباسي الموضوعات التالية : الموضوعات الكلامية، الموضوعات التاريخية و العلمية و الأدبية. و كان من أبرز من نظم في الشعر التعليمي إبان بن عبد الحميد اللاحقي⁸ الذي نظم في التاريخ و العلوم و الفقه، والقصاص، فقد نظم كليلة و دمنة عن الفارسية و نظم قصيدة أخرى عن الصوم، و له قصائد في التاريخ مثل سيرة أنوشروان و سيرة أردشير غيرها. و شارك في هذا النمط التعليمي بشر بن المعتمر⁹ أحد أئمة المعتزلة الذي نظم قصيدتين في التاريخ حيث أشار فيهما إلى قدرة الله و عظمته في خلقه وصولا إلى قاعدة حيث أشار فيهما إلى قدرة الله و عظمته في خلقه وصولا إلى قاعدة التوحيد و الاعتزال، و ردّ فيهما على الإباضية وغيرها. ثمّ نظم قصيدة ثالثة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه و تفضيله و الرد فيها على الخوارج.

و شارك أيضا في هذا النمط الشعري : علي بن الجهم¹⁰ الذي نظم أرجوزة تاريخية حول تاريخ الخلق من آدم عليه السلام حتى الخليفة المستعين بالله. و كان بعمله هذا رائدا في النظم التاريخي الذي دخله بعده ابن المعتز و ابن عبد ربه. فابن المعتز¹¹ نظم أرجوزة في الخليفة المعتضد ذكر فيها توليه الخلافة و أعماله الكبيرة و حروبه التي قام بها. أمّا ابن عبد ربّه فكانت له أرجوزته التاريخية التي نظم فيها مغازي عبد الرحمن الناصر مرتبة على السنين منذ سنة 300هـ و كانت سجلا تاريخيا لانتصارات الناصر و وصفا لكيفية قضاءه على أعدائه.

و جاء ابن دريد¹² بمقصورة طويلة الأنشأها في مدح ابن مكيال الذبيح
 فيها أكثر أغراض الشعر وفنون الأدب واللغة واللاغة ونظم قصائد أخرى كان
 يهدف فيها إلى تعليم اللغة مبرزاً مقدرته وعلمه كقصيدة المقصور والمحدود وغيرها.
 و أبرز سمات هذه الأراجز والأشعار التعليمية اعتمادها على الإيجاز التعبيري
 عن المعلومات مع ذكر بعض التفاصيل في بعض المواقف، وكانت مملوءة بالحكم
 والأمثال بالفاظ وتراكيب قوية ومتينة وواضحة، و مال بعضهم إلى استعمال البديع.
 و كما كان النظم التعليمي في المشرق كان في المغرب أيضاً ففي هذا القرن
 نظم يحيى بن العزال أرجوزة في فتح الأندلس¹³
 و إذا تتبعنا المنظومات العلمية المتاحة على امتداد القرون السابقة ابتداءً من
 ازدهار هذا الاتجاه في القرن الرابع حتى القرن العاشر لوجدنا أن كل قرن من تلك
 القرون ضم أكثر من علم منظوم مست القراءات و علوم الحديث و الأصول و البلاغة،
 و المنطق و العروض و المواريث، بل امتد النظم إلى ميدان السلوك و الأخلاق و آداب
 المعاشرة؛ فنجد منظومة باسم (الذو الحبوك في النحو التعليمي) أو أهم رواه طريق
 السلوك) : نظمها علي بن عطية¹⁴ بن الحسن بن الحداد الحموي الملقب بعلوان ت
 سنة 936 و هي مخطوطة بدار الكتب المصرية.

2- النحو التعليمي و أبرز رواه :

أما الشعر التعليمي المختص بالنحو فقد ذكره خليف الأحمي¹⁵ في المقدمة التي
 تنسب إليه و تسمى (مقدمة في النحو)¹⁶ أن للخليل قصيدة في النحو نقل منها هذين
 البيتين :

و بلا و ثم و أو فليست تصعب

فانسق وصل الواو قولك كله

و سيلها رجب المذاهب مشعب

الفاء ناسقة كذلك عندنا

و قد علق الأستاذ عز الدين التنوخي في حواشيه على كتاب خلف الأحمر فقال "والنحاة لا يذكرون أ له أي الخليل فصيدة في النحو. فعلى هذا تكون هذه القصيدة النحوية إن صحت نسبتها هي من جملة ما ضاع من كتب الخليل"¹⁷.

و في الأشباه و النظائر ينقل السيوطي قولاً عن أبي حيان يذكر فيه أنه كانت لأحمد بن منصور اليشكري أرجوزة في النحو، و هي قديمة عدّها أكثر من ألفي بيت أحتوت على نظم سهل و علم جل¹⁸ و قد ترجم السيوطي في البغية لليشكري¹⁹ دون ذكر مولده و وفاته و لم لزرد في ترجمته على قوله :

نقل عنه أبو حيان في الارتشاف و قال : له أرجوزة في النحو : مطلعها :

الحمد لله الذي تعالى و استخلص العزة و الجلال و جاء فيها أيضاً :

و الوزن في الغزاة و الرماة في الأصل عند جملة الرواة

فعلة ليس لها نظير في سالم من شأنه الظهور

و آخرون فيه قالوا فعلة كما تقول في الصحيح الحملة

فحص وذلك حرف الفاء بالضم في ذي الواو أو ذي الياء

و يقول فيها أيضاً :

و ما جوازك الغلام راكب فليس للجواز يلقي ناصب

إلا ابن كيسان من المذاهب فإنه أجاز نصب الراكب²⁰

لكن من المؤكد أن أحمد بن منصور اليشكري هذا من رجال القرن الرابع لأنه من تلاميذ ابن دريد²¹. و هذا يحمل على الظن بأن المنظومات النحوية متأخرة أو جاءت بعد القرون الأربعة الأولى.

و من الذين ساهموا في هذا المجال -النحو التعليمي- الحريري صاحب المقامات المشهورة الذي نظم أرجوزة نحوية عدتها ثلاثمائة و سبعو سيعون بيتا اسمها "ملحة الإعراب و نسخة الآداب"²² و لها شرح اسمه (تحفة الأحباب و طرفة الأصحاب)²³ لمحمد بحرق المتوفي سنة 950هـ²⁴ و قد طبعت المنظومة و شرحها بالقاهرة سنة 1319هـ و مطلع الملحة :

أقول من بعد افتتاح القول	بحمد ذي الطول الشديد الحبول
وبعده فأفضل السلام	على النبي سيد الأنعام
وآله الأطهار خير آل	فاحفظ كلامي استمع مقال ²⁵

و يقول في باب (كم الخبرية):

و اجرر بكم ما كنت عنه مخبرا
معظم القدره مكثرا

تقول كما مال أفادته يدي
و كم إماء ملكت و أعيد²⁶

و قد ساهم أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن هشام الشنمري بأرجوزة في النحو ذكرها السيوطي في البغية²⁷ . كما نظم الحسين بن أحمد بن خيران البغدادي ت 600هـ أرجوزة حميدة في النحو كما يصفها السيوطي²⁸ .

و لسالم بن أحمد بن سالم المعروف بالمنتجب²⁹ ت 611 أرجوزة في النحو.

إنّ المظومات في مجال الدراسات النحوية كثيرة حفظتها لنا خزائن الكتب لا
يسع المجال لإحصائها هنان لكنها خطوات على طريق النظم المتكامل الذي بدأ به ابن
معطي لذلك لا أجد نفسي مخطئاً إن قلت إن ابن معطي كان رائداً في تقديم النحو
بشكل متكامل و بإطار محدد على شكل ألفية و هو أول من سمة نظمه بالألفية.
و قد وضعت قواعد أنظمة النحو و أسسه على أيدي ثلاثة هم : ابن معطي
وابن الحاجب و ابن مالك. و سار على منوالهم بعد ذلك كل من شارك في هذا المجال
كالسيوطي و غيره كثيرون.

الهوامش

- 1- نظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للدكتور مصطفى هدارة ، ص 354-355.
- 2- نفسه، ص 370.
- 3- ينظر ضحى الإسلام، ج 1، ص 258.
- 4- ينظر : التطور و التجديد في الشعر الأموري للدكتور الشوقي ضيف، ص 345، و ما بعدها.
- 5- الدكتور الشوقي ضيف، مرجع سابق ، ص 350.
- 6- نفسه، ص 350.
- 7- ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هـ، ص 357.
- 8- ينظر : الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى لعصمت عبد الله غوشة ، ص: 13-20.
- 9- نفسه، ص 64-75.
- 10- ينظر الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى ص : 92-105.
- 11- نفسه، ص 121-130.
- 12- نفسه، ص 166-170.
- 13- ينظر الشعر الأندلسي، د. حسين مؤنس ، ص 56.
- 14- هو علي بن عطية بن الحداد الحموي، ينظر : الأعلام للزركلي ، ج 5، ص 128.
- 15- ينظر : ترجمته في أنباه الرواة ، ج 1، ص 348، طبقات اللغويين و النحويين، ج 1، ص 177.
- 16- حققها الأستاذ عز الدين التنوخي و طبعت بدمشق سنة 1961.
- 17- ينظر : مقدمة في النحو، ص 85-86.
- 18- ينظر : الأشباه و النظائر، ج 1، ص 123.
- 19- ينظر بغية الوعاة ، ج 1، ص 392.
- 20- ينظر: بغية الوعاة ، ج 1، ص 392.
- 21- ينظر : مقدمة تحقيق الاشتقاق لابن دريد ، ص 2، تحقيق عبد السلام هارون.
- 22- ينظر بغية الرعاة، ج 2، ص 259.
- 23- ينظر : معجم الدباء ، ج 16، ص 1010 (حقق هذا الشرح د. أحمد محمد القاسم، سنة 1982).
- 24- ينظر : ترجمته في شذرات الذهب ، ج 8، ص 176.
- 25- الملحة ، ص 2.
- 26- ينظر الملحة، ص 21.
- 27- ينظر : البغية ، ج 1، ص: 325-326.
- 28- نفسه، ج 1، ص 531.
- 29- نفسه، ص 525.

